أرض الأنبياء

هذه الأرض المباركة التي تحدث عنها القرآن الكريم هي أرض الأنبياء ، يتحدث عنها القرآن الكريم ، ويجعلها محوراً أساسيًا في قصص العديد من الأنبياء الذين ارتبطت رسالتهم بهذه الأرض ، أو كان لهم عليها موقف ، أو كان الوصول إليها هدف من أهدافهم في دعوتهم لقومهم .

ونحن نؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين من رب العالمين ، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ٢٨٥) .

فمن شرط إسلام المرء أن يؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين ، وهذه الأمة هل أَوْلَى الأمم بجميع الأنبياء المرسلين : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ٦٨).

وتراث جميع الأنبياء هو تراث لهذه الأمة ، ترثه كما ورثت عنهم التوحيْد ومقدسات جميع الأنبياء هي مقدسات لهذه

الأمة الخاتمة ، الشاهدة لجميع الأنبياء بأنهم بلغوا رسالات ربهم سبحانه وتعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(البقرة:١٤٣).

والقرآن والسنة يجعلان لجميع الأنبياء والمرسلين مكانتهم التي تليق بهم في قلوب المسلمين ويربط بيننا وبين جميع الأنبياء برباط وثيق يوجب على هذه الأمة الدفاع عنهم جميعاً ، ويحمل الأمة مسئولية ميراثهم وحماية مقدساتهم .

ومن يقرأ القرآن بقلبٍ حاضر يجد أن القرآن الكريم يتحدث عن بيت المقدس من خلال قصص الأنبياء ، ويتحدث عن هذه الأرض المباركة في سائر مراحلها قوة وضعفاً فيتحدث عنها في عصر سيادتها ، في عهد سليمان عليه السلام .

وكذلك يتحدث عنها وقت خرابها في فترة الأسرِ البابلي ، ويلفتُ أنظار المؤمنين تجاه هذه الأرض المباركة وينوه بشأنها من خلال الأحداث الواقعة على أرضها ، وفي جو سمائها ومع جبالها وأحجارها وأشجارها ، والطير في جوها ، والجن يغوص في قعرها كذلك .

مما لا يتاح لغيرها من الأرض بل إن الناظر إلى القرآن الكريم يجد أن بيت المقدس هو أكثر بقعة على وجه الأرض ، يتحدث عنها القرآن ، وذلك اهتماماً بشأن هذه الأرض

المقدسة فارتبط الكثير من قصص الأنبياء بهذه الأرض المباركة حقًا إنها أرض الأنبياء .

ومن أوائل الأنبياء الذين ارتبط ذكرهم بهذه الأرض المباركة في مرحلة من مراحل حياته ، نبي الله إبراهيم عليه السلام .

حيث يتحدث القرآن الكريم عن الأرض التي قدَّر الله نجاة إبراهيم عليه السلام إليها ، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٧١).

فترتبط سيرة إبراهيم عليه السلام في جزء من أجزائها بهذه الأرض المباركة ، حيث إن الله عز وجل قد كتب له النجاة إلى هذه الأرض بعد أن كاد له قومه ، وأوقدوا النار لإحراق توحيده فأنجاه الله إلى هذه الأرض ، ويقول صاحب الظلال[1]: « لقد ترك إبراهيم عليه السلام وطناً وأهلاً وقوماً فعوضه الله الأرض المباركة وطناً خيراً من وطنه ».

ولقد صحبه في رحلته هذه زوجته ، ومروا على بعض المدن الفلسطينية واستقروا في بئر سبع[2].

---

(١) في ظلال القرآن : ٤/ ٢٣٨٨ .

(٢) إبراهيم طرابلسي : الإسلاميون والقضية الفلسطينية ، ص : ١١ .

ويذكر الطبري [1] عن أبي بن كعب في قوله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:٧١) . أنها الشام ، وبيت المقدس من بلاد الشام ، وما من ماءٍ عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي هى « بيت المقدس ».

ويذكر ابن كثير في تفسيره [2] أن الله سبحانه وتعالى أنجى إبراهيم عليه السلام فسلّمه الله من نار قومه ، وأخرجه من بين أظهرهم إلى بلاد الشام إلى الأرض المقدسة منها ، ثم ينقل قول الطبري السابق .

ونقل عن قتادة أن إبراهيم عليه السلام كان بأرض العراق فأنجاه الله إلى الشام ، وكان يُقال للشام عماد دار الهجرة ، وما نقص من الأرض زيد في الشام ، وما نقص من الشام زيد في أرض فلسطين ، وهي أرض المحشر والمنشر ، وبها ينزل عيسى ابن مريم ، وبها يهلك المسيح الدجال [3].

وعلى هذه الأرض المباركة عاش إبراهيم عليه السلام فترة من الزمن ، وعليها رُزق إبراهيم عليه السلام بابنه إسماعيل عليه السلام .

---

(١) تفسير الطبري ، ١٨ /٤٧٠ .
(٢) تفسير ابن كثير : ٣٥٣/٥ .
(٣) دكتور سيد العفاني : واقدساه ، ١ /١٣٠ .

وقد جاءت الملائكة تُبشر إبراهيم عليه السلام بالبشرى على الأرض المباركة ، وقد ظن إبراهيم أنهم ضيوف ، فأكرمهم كما تحدث القرآن عن كرمه وعن البشرى لإبراهيم ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾

(هود:٦٩-٧٤) .

وكذلك جاء الحديث عن البشرى في سورة الحجر والعنكبوت والذاريات ، فكل أحداث البشرى لإبراهيم عليه السلام ونزول الملائكة وحديثهم مع إبراهيم وزوجه كان على أرض بيت المقدس .

وكل هذه الآيات التي تتحدث عن ذلك نتعبد لله عز وجل بتلاوتها وقراءة كلماتها ، وهي تحكي مشهداً من حياة نبي الله

إبراهيم عليه السلام ، الذي يقول فيه ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (الحج:٧٨) فإن كان إبراهيم عليه السلام قد عاش فترة من الزمن في هذه الأرض المباركة فقد وُلد إسماعيل عليه السلام على هذه الأرض .

وكان إبراهيم وإسماعيل حلقة الوصل بين بلد الله الحرام في مكة المشرفة وبيت المقدس في الأرض المباركة .

وقد ذكر البعض أن الطريق الذي كان يسير فيه إبراهيم عليه السلام في رحلته بين المسجدين ، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، هو نفس الطريق الذي سار فيه رسول الله ﷺ في رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى[١] .

وفي حديث أبي ذر عندما سأل رسول الله ﷺ : يا رسول الله أي المساجد وضع في الأرض أولاً ؟ قال : المسجد الحرام ، قال : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى ، قال كم بينهما ؟ قال : أربعون[٢] .

ويقول العلماء : إن إبراهيم عليه السلام هو الذي رفع القواعد في البيت الحرام كما أمره الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ

---

(١) دكتور سيد العفاني : واقدساه ، ١/ ١٣٠ .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

﴿ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ ﴾ (البقرة:١٢٧) ، وهو الذي جدَّد بناء المسجد الأقصى في بيت المقدس أيضاً .

فإبراهيم عليه السلام حلقة ربط بين المسجدين ، وقد ربط القرآن الكريم بين المسجدين برباط مكانة ، فمكانة أحدهما من مكانة الآخر ، ونستطيع القول : إن إبراهيم عليه السلام قد ظل في بيت المقدس فترة من الزمن ، مما يسمح له بتجديد المسجد الأقصى ، وهو يتطلب الوقت الكثير في ذلك الزمن .

ويذكر البعض كذلك أن نبي الله إبراهيم عليه السلام قد عاش بقية حياته في بيت المقدس ، وأنه توفي في بيت المقدس ، وأنه دفن في الخليل في منطقة الحرم الإبراهيمي[1]، الذي أعلن اليهود تحويله إلى معبد من معابدهم ، ولم يتحرك لذلك ساكن في الأمة .

وبالرغم من العلاقة التي تجمع بيننا وبين نبي الله إبراهيم عليه السلام ، والتي تحدَّث عنها القرآن في قوله تعالى : ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (الحج:٧٨) فالعلاقة بيننا وبينه علاقة أبوة وبنوة .

---

(١) إبراهيم طرابلسي : الإسلاميون ، ص : ١١ .

ونحن أولى الناس به : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(آل عمران:٦٨) .

وإبراهيم عليه السلام يُرسل رسالة لجميع الأمة في رحلة الإسراء في وصية لنا ، والذي ينقلها لنا رسول الله ﷺ : « أقرأ أمتك مني السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر »[1]... وذلك عندما كان رسول الله ﷺ على هذه الأرض المباركة ، في هذه الرحلة المباركة ، ولكن كيف نلقى أبانا إبراهيم عليه السلام وقد حول اليهود قبره ومسجده ، من مسجدٍ لتوحيد الله عز وجل إلى معبد يهودي . . ؟ ولكل مسلم أن يتخيل هذا المشهد يوم القيامة ، فماذا تقول لنبي الله إبراهيم عليه السلام ، وبماذا تعتذر الأمة ؟

والآية التي تحدثت عن نجاة إبراهيم عليه السلام إلى الأرض المباركة تحدثت كذلك عن نبي الله لوط عليه السلام الذي كان معه ، وكانت له النجاة أيضاً ، والحق سبحانه وتعالى يذكره في النجاه والوصول إلى هذه الأرض المباركة ذِكراً صريحاً :

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ، حديث رقم ١٠٣٦٣ . وفي الأوسط والصغير .

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٧١) .

وكان بينهما رحم ، فقيل كان لوط ابن أخت إبراهيم عليه السلام ، وقيل ابن أخيه[١]، ونبي الله لوط تحدث عنه القرآن الكريم كثيراً ، وهنا القرآن يتحدث عن لوط وأنه قد وصل إلى هذه الأرض المباركة إلى أرض بيت المقدس ، وأنه عاش فيها مدة من الزمن ، وكانت له عليها دعوة ، وذكر البعض أنه توفي بقرية بني نعيم بجانب الخليل[٢].

(٣) نبي الله يعقوب عليه السلام :

لقد تحدث القرآن الكريم عن نبي الله يعقوب عليه السلام ، وهو حفيد نبي الله إبراهيم عليه السلام ، وهو الذي يُطلق عليه « إسرائيل » أي عبد الله ، وهو ابن إسحق بن إبراهيم عليه السلام .

وقد كان استقرار إسحاق عليه السلام بالأرض المباركة ، وكانت ذريته من بعده تعيش على هذه الأرض .

وتحدَّث القرآن الكريم عن يعقوب بن إسحاق وأسرته ، في سورة كاملة تسمى باسم حفيد إسحاق عليه السلام وهي سورة يوسف عليه السلام ، وبعض أحداث هذه القصة وقعت على هذه

---

(١) تفسير القرطبي ، ٧ /٣١ .

(٢) إبراهيم طرابلسي : الإسلاميون ، ص : ١٢ .

الأرض المباركة التي وُلد عليها يوسف عليه السلام ، وعاش عليها مدة من الزمن في طفولته .

وعليها كانت رؤياه : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (يوسف:٤) ، وعلى أرضها تآمر عليه إخوته ، وفي بئر من آبارها أُلقي يوسف عليه السلام ، حيث يروي الطبري عن عبد الرزاق عن محمد عن قتادة أن البئر في قصة يوسف ، هو بئر في بيت المقدس[1].

هذا البئر الذي وصفه الكثيرون من المفسرين بأوصافٍ متعددة ، وعلى أرضها بيع يوسف عليه السلام بثمنٍ بخس دراهم معدودة للسيارة ، وبقي يعقوب عليه السلام وأخوة يوسف يعيشون على أرض بيت المقدس ، إلى أن دخلوا مصر بسلامٍ آمنين .

(٤) نبي الله موسى عليه السلام :

تحدث القرآن الكريم عن قصة موسى عليه السلام كثيراً ، وحديث القرآن عن نبي الله موسى عليه السلام يجعل الأرض المقدسة محوراً أساسيًّا من محاور قصة موسى عليه السلام ، بل هي قضية موسى عليه السلام بعد توحيد الله عز وجل .

---

(١) تفسير الطبري ، ٥٦٦/١٥ .

فمهمة موسى عليه السلام هي الدعوة إلى التوحيد ، وأن يخرج قومه من ذل الفراعنة إلى الأرض المباركة : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾

(الشعراء: ١٠-١٧) .

فموسى عليه السلام مُكلف من ربه بالخروج بالموحدين من مصر إلى الأرض المباركة ، ولأجل هذه المهمة تغير العديد من نواميس الكون حتى ينجو أهل التوحيد من أرض عاشوا عليها أذلة إلى أرض تكون عليها عزتهم .

بداية من ميلاد موسى عليه السلام بعيداً عن عيون فرعون ، وحفظ الله عز وجل لموسى وهو في اليم تُحركه الأقدار ليصل إلى قصر فرعون ، ويجري الله سبحانه وتعالى قدره على لسان زوجة فرعون : ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾

(القصص: ٩).

لينشأ موسى عليه السلام بين الفراعنة ، كل هذه أقدار الله سبحانه وتعالى يُجريها على خلقه ؛ لينجو موسى عليه السلام بالموحدين ، ويصل بهم إلى الأرض المباركة .

وتكتب النجاة لموسى عليه السلام ومن معه من الله سبحانه وتعالى ، بسنن الله في كونه من أجل الموحدين ، حيث أمر الله عز وجل موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه . . . : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾ (الشعراء:٦٣-٦٥).

فلقد أجرى الله سبحانه وتعالى تغيير نواميس كونه حتى يَخرُج بنو إسرائيل من ذل الفراعنة وقهرهم إلى أرض يعيشون عليها أعزة .

إلا أنهم قد ألفوا المذلة والهوان ، وأن يكونوا عبيداً بين يدي ساداتهم فسقطت همتهم واثاقلوا إلى الأرض : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ

وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (المائدة: ٢٠-٢٦) .

أنجاهم الله سبحانه وتعالى من فرعون وجنوده بسننه في كونه ، وبغير حول منهم ولا قوة ، وعندما أمرهم نبيهم عليه السلام أن يدخلوا الأرض المقدسة قعدت بهم همتهم ، ولم تُحركهم عزيمة ، وقالوا : إن فيها قوماً جبارين : ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ (المائدة: ٢٢-٢٤) .

فكان حكم الله سبحانه وتعالى ، ذلك الحكم الأبدي فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض .

فكتب الله سبحانه وتعالى عليهم التيه في الأرض ، حتى ينقرض ذلك الجيل الذي ألف الذل والهوان والاستعباد ويخرج جيل آخر تربَّى في الصحراء ، وتأثر ببيئتها حتى تكون عندهم من العزة والكرامة ما يمكنهم من الوصول إلى الأرض المقدسة ، وحمل راية الجهاد والتوحيد .

وفي هذه السنوات ـ سنوات التيه ـ مات هارون عليه السلام ، ومن بعده موسى عليه السلام ليُكمل فتاه مسيرته من بعده ، وهو يوشع ابن نون [1] .

ويروي الطبري[2] عن قتادة أن يوشع بن نون أحد الرجلين اللذين قالا لبني إسرائيل : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة:٢٣).

ويتحدث القرآن الكريم عن قيادة يوشع بن نون : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ

---

(١) تفسير الطبري ، ٢/١٣٠ ، ٥/٢٩٣ .

(٢) نفسه ، ٥/٢٩٣ .

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾

(البقرة:٥٨،٥٩).

ويتحدث رسول الله ﷺ عن دخول يوشع بن نون لبيت المقدس في الحديث : «لم تُحتبس الشمس لأحدٍ من الناس إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس»[١].

والتوراة تسمي يوشع باسم يشوع ، وتتحدث أيضاً عن حبس الشمس ليوشع بن نون عند فتحه لبيت المقدس[٢].

وقد دخل يوشع بيت المقدس كما أخبر القرآن الكريم ، ويذكر ابن كثير [٣] أن يوشع أمرهم أن يدخلوا ساجدين لله شكراً ، وأن يدعو الله ﷻ أن يغفر لهم ذنوبهم .

ولكن اليهود غيروا وبدلوا وحرفوا : ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة:٥٩).

---

(١) رواه الإمام أحمد : المسند حديث رقم ٨٢٩٨ ، وابن عساكر .

(٢) سفر يشوع ١٣/١٠ .

(٣) تفسير ابن كثير ، ٢٧٤/١ .

وقد قام يوشع بن نون بأمر بني إسرائيل وقيادتهم إلى أن توفي وولى الأمر بعده قضاة حكموا فترة من الزمن دون أن يكون لهم ملك ذو سطوة وعزة[1].

وكان بنو إسرائيل في تلك الأثناء عرضة لغزوات الأمم المجاورة لهم، وكانت عادة اليهود في حروبهم أنهم يستنصرون بالتابوت الذي تركه موسى عليه السلام ويجعلونه أمامهم[2].

إلا أنهم هُزِمُوا في بعض حروبهم وسلب منهم التابوت، فذهبوا إلى نبيهم - قيل هو صموئيل[3] - وكان نبيًّا وقاضياً وطلبوا منه أن يختار لهم ملكاً يجتمعون تحت رايته لقتال أعدائهم وكان صموئيل يعرف حقيقة قومه، ويعلم طبيعتهم وتخاذلهم عن القتال، والحق سبحانه وتعالى يتحدث عن ذلك في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ

---

(١) عفيف طبارة: مع الأنبياء، ص: ٢٧٢.
(٢) تفسير الطبري، ٣١٦/٥، تفسير ابن كثير، ٦٦٥/١.
(٣) نفسه، ٢٩٣/٥.

عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ
يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً
مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ
وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة:٢٤٦،٢٤٧).

وقد استجاب الله سبحانه وتعالى لبني إسرائيل ، واختار لهم طالوت ليكون ملكاً عليهم يقودهم إلى النصر ، وأن علامة ذلك أن يأتيهم التابوت ثانية ، ويتحدث القرآن الكريم عن قيادة طالوت للموحدين من بني إسرائيل على هذه الأرض في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ
ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ
فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ
فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ
بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم
مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ
أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ
ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ

مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(البقرة:٢٤٩-٢٥١) .

فكل هذه الأحداث التي يذكرها القرآن الكريم هي أحداث وقعت على هذه الأرض المباركة وهي تؤرخ لفترة من تاريخ هذه الأرض المقدسة ، ودعوة الأنبياء فيها ، وأحوال الموحدين عليها .

وكذلك تتحدث عن المعجزات[1]، والآيات الواقعة على هذه الأرض المباركة ، فهي أرض الأنبياء ، وهي أرض المعجزات ، فهي من أكثر الأماكن ذكراً في القرآن الكريم .

وقد ذكر في الآيات السابقة أيضاً حديث القرآن عن نبي الله داود عليه السلام على هذه الأرض .

(٥) نبي الله داود عليه السلام :

القرآن الكريم يتحدث عن نبي الله داود عليه السلام الذي جاء يدعو إلى توحيد الله عز وجل،وكل مسلم يؤمن بنبي الله داود عليه السلام ، والآيات السابقة تتحدث عن قتل داود لجالوت ، وكان داود

---

(١) سوف أتحدث عن المعجزات الواقعة عليها ، إن شاء الله .

أصغر الجيش سنًّا ، وأن ذلك حدث من أجل هذه الأرض المباركة ، ودفاعاً عن الأرض المقدسة ، من اعتداءات أهل الكفر ، وقد تحدث القرآن الكريم عن نبي الله داود كثيراً ، فهو نبي وملك يعيش في بيت المقدس ، وعليها دعوته ، وفيها حكمه وملكه ، وتحدَّث عن عبادته لربه ، وحكمه بين الناس ، وكذلك تحدث عن عمل داود عليه السلام على هذه الأرض ، وأنه كان يأكل من عمل يده .

فالقرآن يتحدث عن عمله : ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ (الأنبياء: ٨٠)، فكان يعمل حداداً صانعاً للدروع وغير الدروع ، فإن كلمة « لبوس » تحتوي على جميع أنواع السلاح ، درعاً كان أو جوسقاً أو سيفاً أو رمحاً[1].

ويبدو أن بيت المقدس قد سبقت غيرها في هذه الصناعة ، وأن أول من صنع ذلك هو نبي الله داود عليه السلام ، وأن السلاح والتحصن قبله كان من الخشب ، وأن الله سبحانه وتعالى قد علَّمه وألهمه التقدير في السرد : ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سبأ: ١١)،

---

(١) تفسير الطبري ، ١٨/٤٨٠ .

والسرد هو مسمار خلف الدرع[1]، وتقديرها بقدرٍ معين وفي موضع معين من الدرع .

وهذا تأريخ لهذه الصناعة على هذه الأرض المباركة ولحياة نبي الله داود عليه السلام على هذه الأرض .

وكما تحدث القرآن عن عمل داود عليه السلام على هذه الأرض المباركة تحدث كذلك عن حكم داود عليه السلام على هذه الأرض ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء:٧٨،٧٩).

وحديث القرآن عن حكم داود عليه السلام : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ (الأنبياء:٧٨).

البعض يظن أن داود كان أقل حكمة في حكمه من ابنه سليمان ، ولكن من يقرأ الآية يعلم أن ذلك من قدر الله عز وجل إظهاراً لوراثة سليمان عليه السلام لأبيه . وأن دواد عليه السلام كان مؤيداً

---

(١) تفسير الطبري ، ٢٠/٣٦٠ - ٣٦١ ، تفسير ابن كثير ، ٥/٢٥٨ . تفسير القرطبي ، ١٤/٢٦٧ .

في حكمه من الله ﷻ ، ويجب أن تعلم أن نبي الله داود عليه السلام مؤيد بالوحي من ربه في سائر أحكامه ، حتى لا يظن أحد أنه كان يُجانبه الصواب في حكمه .

والحق سبحانه وتعالى تحدث عن عبادة نبيه داود عليه السلام على هذه الأرض المباركة ، وهو صاحب الصوت الجميل العذب ، الذي يُسبح ربه سبحانه وتعالى فتشدوا معه الطير ، وتقف في جو سماء الأرض المباركة مسبحة وتستمع لتسبيح داود عليه السلام .

ذلك الذكر الذي جعل الحديد يلين في يد نبي الله داود : ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ (سبأ: ١٠).

ويتحدث القرآن عن تسابق جميل فريد بين نبي الله داود والكون من حوله حتى الجبال لها معه ذكر .

وانظر إلى فضل ذلك النبي على هذه الأرض المباركة ، وتجاوب عناصر الكون فيها مع نبي الله : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ (سبأ: ١٠) الكل يُسبح ، الكل يذكر ، الكل في عبادة لله سبحانه وتعالى ، الأرض ـ المباركة ـ وما عليها ، والطير في جو سمائها ، والحديد بين يدي نبيها ، الكل خرج عن طبيعته مع صاحب الصوت الحسن .

وخير الصيام ، كما قال رسول الله ﷺ : « أحب الصيام إلى الله صيام داود عليه السلام ، كان يصوم يوماً ويُفطرُ يوماً »[1]، نعم حق للجبال أن تُسبح ، وللطير أن تشدو ، وللحديد أن يلين ، استجابة للمُسبح الموحد داود عليه السلام : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء:٧٩) .

ولك أن تُعايش هذا التجاوب والتجاذب بين عناصر الكون ، وكل هذا الفضل لذلك النبي ؛ لأن الله أعطاه هذا الفضل : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ (سبأ:١٠).

ولك أن تتخيل كل هذا الفضل يُعطى لسليمان بن داود وزيادة .

(٦) سليمان عليه السلام :

لقد ورث سليمان أباه عليه السلام ورث العبادة : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص:٣٠) ، وورث الملك : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (النمل:١٦).

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

وتكتمل صورة هذا التناسق في أروع صوره في حياة سليمان عليه السلام ، فلقد وصفه ربه أنه نعم العبد ، فقد كان عابداً زاهداً مسبحاً ، وصفه القرآن في عبادته بوصف أبيه : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص:٣٠) .

وكذلك ورث هذا الملك عن أبيه وزيادة [١] ، فكان بيت المقدس في عهده حجر الزاوية في الدنيا بأسرها ، فهي حاضرة التوحيد ، وفيها ملك نبي الله سليمان عليه السلام ، ذلك الملك الذي تحدث عنه القرآن فقال : ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ (البقرة:١٠٢) .

هذا المُلْكُ العريض الذي دان لعبد الله ونبيه سليمان عليه السلام ، وقد سخَّر الله له العديد من عناصر الكون ؛ تحقيقاً لدعوة ذلك العبد الذي قال : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (ص:٣٥).

انظر إلى حديث القرآن عن ملك سليمان عليه السلام على بيت المقدس ، وقد تحدث عن كثير من عناصر هذا الملك .

---

(١) تفسير الطبري ، ٤٨٢/١٨ .

فقد تحدث القرآن عن الرياح في هذا الملك حيث يقول : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (ص:٣٦).

وكذلك في سورة الأنبياء : ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء:٨١) .

فالرياح في مملكة سليمان ، سخرها الله له تجري بأمره حيث يشاء ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ (سبأ:١٢) ، وإلى أي مكان يريد[1]، هل حدث ذلك لغير سليمان عليه السلام ومستقر ملكه هو بيت المقدس ، وعهد سليمان عليه السلام إذا استطعنا القول تسمية عصره «عصر سيادة بيت المقدس» بلغة المؤرخين ، وقد تحدث المفسرون كثيراً عن الريح في مُلك سليمان عليه السلام .

ومما دان لسليمان عليه السلام في هذه المملكة العجيبة ، الجن وهو مسخر بين يدي سليمان عليه السلام بأمر الله ﷻ والقرآن يتحدث في هذه المملكة : ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ

---

(١) ريح رخوة لينة ليست بعاصفة ولا بطيئة ، وهي ريح طيبة كذلك . تفسير الطبري ، ٢٠٢/٢١.

يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ (سبأ:١٢-١٤) .

ولك أن تتخيل هذا الملك المُسخر فيه الجن لا يستطيع أحدهم الفرار عن أمر سليمان عليه السلام ، انظر إلى أعمال الجن تنفيذاً لأمر النبي الملك : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ (سبأ:١٣) .

وتحدث القرآن الكريم عن عمل الشياطين كذلك بين يدي سليمان عليه السلام : ﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾

(الأنبياء:٨٢).

وانظر إلى حفظ الله عز وجل للشياطين في ملك سليمان عليه السلام ، إنه ملك لا يكون لأحد بعد سليمان عليه السلام ؛ لأن الله أراد ذلك واستجاب لدعائه : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (ص:٣٥) .

وهنا القرآن يتحدث عن غوص الشياطين في باطن الأرض ، في هذا الملك ، وتحدث كذلك عن القطر يخرج سائلاً بأمر الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾ (سبأ:١٢) يخرج للناس سائلاً مُذاباً بأمر الله سبحانه وتعالى .

تحدث القرآن الكريم عن هذا الجيش العجيب الفريد لسليمان عليه السلام ومستقره وقيادته وتجمعه على الأرض المباركة.

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (النمل:١٧).

ولك أن تتخيل الجيش المكون من الجن والإنس والطير يجتمع على الأرض المباركة ويخرج من عليها يرفع راية التوحيد ويعبد العباد لعبادة رب العباد .

لك أن تتخيل هذا التناسق بين عناصر هذا الجيش الذي يقوده سليمان عليه السلام ، الرياح مُسخرة بأمره ، الجن تعمل بين يديه ، الطير تُكلمه ، والكل يخرج يدعو لتوحيد الله ﷻ .

ألم يكن الهدهد ، الذي يُسجل القرآن الكريم كلماته نتعبد لله ﷻ بها فرداً من أفراد هذا الجيش ، وذلك الهدهد الذي يغار على توحيد الله ﷻ عندما رأى البعض من الناس يتعبدون لغير رب الناس : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى

ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾

(النمل: ٢٠-٢٨) .

ألم يكن هذا الحديث بين نبي الله سليمان وأحد جنوده من الطير حدثاً عجيباً على أرض بيت المقدس ، نعم ، وسليمان يتحدث عن فضل الله ﷻ عليه فيقول : ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (النمل: ١٦) .

إنه ذلك الملك النبي الذي حاضرة ملكه « بيت المقدس » ، والذي يبتسم ضاحكاً من قول نملة : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ

سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (النمل:١٨،١٩) .

لقد تحدث القرآن الكريم عن هذا الملك النبي الذي يستقر على الأرض المباركة ، وعليها ملكه ، كيف دانت له الملوك في هذا الزمن : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ
تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى
مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ
سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ
أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ
لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟
أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ
مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ
لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ
قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن
فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ
وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ
أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ
قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا
مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا

ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (النمل: ٢٠-٤٤) .

نعم لقد أتت ملكة سبأ لنبي الله سليمان عليه السلام ، وأصبحت من المسلمين الموحدين ، ألم يستقر عرشها على أرض بيت المقدس : ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُ ﴾ (النمل: ٤٠) .

ألم يكن حديث القرآن عن كل هذه الأحداث على هذه الأرض المباركة حديثاً عن هذه الأرض ، في عصر سيادته ، ألم يكن بيت المقدس حجر الزاوية في كل هذه الأحداث !

هل حدث ذلك لغير هذا النبي الموحد ، والذي يدعو إلى التوحيد ، ونحن أولى الناس به وبميراثه من التوحيد ومقدساته التي أقامها لتوحيد الله عز وجل ... إنه أقام المساجد لعبادة الله عز وجل وتوحيده ، ولم يُقم هياكل وثنية على غرار المعابد الوثنية ، والتي فيها المذابح والثالوث المقدس وغيره من وثنية لا تدين لله عز وجل .

وللقارئ الكريم أن يعقد مقارنة بين توقير القرآن الكريم لنبي الله سليمان عليه السلام ، وبين حديث التوراة عن سليمان

بحديثٍ لا يليق برجلٍ مؤمن ، فضلاً عن أن يكون نبيًّا من أنبياء الله ﷻ .

(٧) آل عمران :

وكما تحدث القرآن الكريم عن تفضيل الله ﷻ لهذه الأسرة التي ملكت في بيت المقدس وحكمت ، ولها من العبادة لله ﷻ ما لها ، فكذلك تحدث عن أسرة عابدة ارتبطت ببيت المقدس ؛ لأنها تقوم على الدعوة إلى الله ﷻ ، والقيام على أمر بيوت العبادة التي أُقيمت لتوحيد الله ﷻ على الأرض المباركة ، إنها أسرة « آل عمران » .

فلقد تحدث القرآن عن اصطفاء هذه الأسرة .

إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران:٣٣،٣٤) . فعلى هذه الأرض المباركة عاش زكريا عليه السلام بعضاً من الزمن ، وهو النبي المتعبد لله ﷻ ، والذي تحدث القرآن الكريم عن دعاءه : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾(آل عمران:٣٨)، ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ

نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾(مريم:٢-١١).

إنها دعوات متكررة من نبي الله زكريا عليه السلام ، وهو الذي جاءت إليه البشرى ، وهو في محراب من محاريب بيت المقدس ، وتحدث القرآن الكريم عن حوار زكريا عليه السلام والملائكة التي جاءت إليه بالبشرى من عند ربه بغلام اسمه « يحيى » ، ألم يكن هذا الحوار في محراب من محاريب بيت المقدس : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ

وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ (آل عمران : ٣٩-٤١) ، ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾

(مريم:٧-١١) .

كل هذا حدث مع نبي الله زكريا عليه السلام على أرض بيت المقدس ، تلك الأرض التي وُلد عليها يحيى عليه السلام ، والذي تحدث عنه القرآن الكريم : ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (مريم: ١٢-١٥).

ذلك النبي الذي عاش يدعو إلى الله ﷻ وتوحيده ، على أرض بيت المقدس ، والذي استشهد على هذه الأرض المباركة ،

تلك الأرض التي ظل دم نبي الله يحيى عليه السلام يفور عليها ، حتى أرسل الله من ينتقم من قاتليه[1].

وكما تحدث القرآن الكريم عن الرجال في هذه الأسرة ، فكذلك تحدث عن النساء ، فتحدث عن امرأة عمران ، والتي دعت الله سبحانه وتعالى بهذه الدعوات التي يسجلها القرآن الكريم . إذ قالت امرأة عمران : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

(آل عمران:٣٥-٣٧) .

ويقول ابن كثير[2] محرراً ، أي خالصاً مفرغاً للعبادة ، ولخدمة بيت المقدس ، ومن أجل هذه الدعوات الخالصة

---

(١) كان الأسر البابلي بعد قتل نبي الله يحيى عليه السلام بوقتٍ قصير .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٢٣/٢ .

لله ﷻ ، تُرزق امرأة عمران بخير نساء العالمين ، على أرض بيت المقدس ولدت مريم ، مريم أم عيسى عليه السلام ، إنها مريم التي يقول عنها ربنا إن الله اصطفاك وطهرك ، والتي عاشت على أرض بيت المقدس لخدمة بيت الله ببيت المقدس ، والتي تقبلها ربها : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(آل عمران ٣٧).

وتحدث القرآن الكريم عن مريم كثيراً ، تحدث عن طفولتها والمؤمنون يتسابقون إلى كفالتها ، حيث يقول : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾

(آل عمران: ٤٤) .

كما تحدث عن كفالة زكريا عليه السلام لمريم على أرض بيت المقدس ، وهي ترتبط بمحرابٍ من محاريب بيت المقدس ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

(آل عمران: ٣٧).

فهذا الرزق يأتي لمريم في محراب من محاريب بيت المقدس ، هذا الرزق الذي يقول عنه المفسرون [1] : إنه كان يأتيها فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ، أو تأتيها الفاكهة في غير حينها .

فجاءت البشرى لمريم على أرض بيت المقدس ، كما تحدث القرآن عن عبادة مريم واصطفاء الله ﷻ لها : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٢، ٤٣) .

ويتحدث القرآن عن اتخاذ مريم مكاناً شرقي المسجد الأقصى في بيت المقدس ، ويتحدث عن إرسال الملائكة بالبشرى لها : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ

---

(١) تفسير الطبري ، ٣٥٦/٦ ، تفسير ابن كثير ، ٣٦/٢ .

وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (مريم:١٦-٣٥).

كما تحدث القرآن الكريم كذلك عن أماكن لها مع مريم مواقف في بيت المقدس ، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى :
﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾(مريم:٢٤)

جدول من الماء يجري من تحتها [1] ، ألم يكن في أرض بيت المقدس !

وكذلك يتحدث عن النخلة : ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ (مريم:٢٥) ألم يكن ذلك في بيت المقدس ، ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (المؤمنون:٥٠) .

(٨) عيسى عليه السلام :

وفي المكان الشرقي من بيت المقدس ، وُلد عيسى عليه السلام : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾(آل عمران:٤٥)، فلقد وُلد عيسى عليه السلام آية من آيات الله على هذه الأرض المباركة : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

(آل عمران:٥٩).

وعلى هذه الأرض كانت معجزات عيسى عليه السلام « ابن مريم » ، وعليها كانت عداوة اليهود لعيسى ابن مريم .

---

(١) تفسير الطبري ، ١٥/٢٩ .

وعلى هذه الأرض كانت محاولة اليهود قتل عيسى عليه السلام فرفعه الله إليه : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (آل عمران:٥٥) .

وأن هذه الأرض المباركة لها موعد آخر مع نبي الله عيسى ابن مريم عندما ينزل يحكم شرع الله ويقتل الدجال .

ولك أن تنظر كيف أن القرآن الكريم يتحدث عن الأرض المباركة على اختلاف الزمن ، ويؤرخ لهذه الأرض في كثير من عهودها .

حتى وقت خرابها كذلك يتحدث عنها القرآن الكريم ، وذلك في فترة الأسر البابلي في الآية : ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة:٢٥٩) .

وقد أجمع أهل التفسير[1]، أن ذلك كان على أرض بيت المقدس ، وأثناء الأسر البابلي .

(٩) نبي الله محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين :

يرسله ربه ويختم به الرسالات السماوية ، وتسلّم الحبيب محمد هذا المكان المبارك في حفلٍ باركته السماء ، في رحلة الإسراء ، التي جاءت لحكمة سامية : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١).

فكانت إعلاناً عن ميراث الرسول الخاتم لمفاتيح هذا المكان ، وتسأل أمته عن هذا المكان إلى يوم الدين .

ويتفق العلماء على أن رحلة الإسراء جاءت لحكمة أرادها المولى ﷻ ولغاية سامية ، فيقول صاحب الظلال[2]: « الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير ، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ إلى رسول الله محمد ﷺ ، خاتم النبيين ، تربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعاً ، أو كأنه أُريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة

---

(١) تفسير الطبري ، ٤٤٣/٥ ، تفسير ابن كثير ، ٦٨٨/١ .

(٢) في ظلال القرآن ، ٢٢١٢/٤ .

الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتباط رسالته بها جميعاً» .

وقد شاءت إرادة الله ، أن تبدأ هذه الرحلة في هذه الليلة المباركة من بلد الله الحرام إلى المسجد الأقصى في الأرض المباركة ، ولم يكن هذا جزافاً ، بل كان بتدبير إلهي ، ولحكمة ربانية ، وهي أن يلتقي خاتم الرسل والنبيين في الأرض المباركة بالرسل الكرام جميعاً ، ويُصلي بهم إماماً .

وفي هذا إعلان عن انتقال القيادة الربانية إلى أمة جديدة ورسول جديد وكتاب جديد ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أمة عالمية وكتاب عالمي [1] .

ولكن لماذا كانت الرحلة إلى بيت المقدس ، ولم تبدأ من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة ؟ ويُجيب الشيخ الغزالي [2] رحمه الله قائلاً :

« إن هذا يرجع بنا إلى تاريخ قديم ، فقد ظلت النبوات دهوراً طويلة وهي وقف على بني إسرائيل ، وظل بيت المقدس مهبط الوحي ومشرق أنواره على الأرض ، وقصة الوطن المحبب إلى شعب الله المختار - حينذاك ، فلما أهدر

---

(١) دكتور يوسف القرضاوي : القدس قضية كل مسلم ، مكتبة وهبة القاهرة ص : ٧ .

(٢) محمد الغزالي : فقه السيرة ، ص : ١٠٣ .

اليهود كرامة الوحي ، وأسقطوا أحكام السماء ، حلَّت بهم لعنة الله ، وقدَّر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد ، ومن ثَمَّ كان مجيء الرسالة إلى سيدنا محمد ﷺ انتقالاً بالعبادة الروحية في العالم من أمة إلى أمة ، ومن بلدٍ إلى بلد ، ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل».

ولو لم تكن القدس مقصودة في هذه الرحلة لأمكن العروج من مكة إلى السماء مباشرة ، ولكن المرور بهذه المحطة القدسية أمر مقصود ، كما دل على ذلك القرآن الكريم والأحاديث الشريفة .

ومن ثمرات رحلة الإسراء الربط بين مبتدأ الإسراء ومنتهاه ، وبعبارة أخرى بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، وهذا الربط له إيحاؤه وتأثيره في وعي الإنسان المسلم بحيث لا تنفصل قدسية أحد المسجدين عن قدسية الآخر[1].

وفي رحلة الإسراء جمع الله سبحانه وتعالى الأنبياء كلهم في المسجد الأقصى ، فصلى بهم رسول الله ﷺ إماماً ، وإمامته ﷺ للأنبياء في المسجد الأقصى تدل على أنه الإمام المعظم ، والرسول المقدم[2].

---

(١) دكتور يوسف القرضاوي : القدس قضية كل مسلم ، ص : ٥ ، ٩ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ، ٣٥٤/٢ .

فكانت صلاته ﷺ بالأنبياء ليلة الإسراء إقراراً ضمنيًّا بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى البشر ، أخذت تمامها على يد الحبيب محمد ﷺ بعد أن وطئها العباد والصالحون من الأنبياء والرسل الأولين ، واستقر نسب المسجد الأقصى إلى الالتصاق بالأمة التي أمَّ رسولها سائر الأنبياء[1].

وصلاة الأنبياء في المسجد الأقصى مأمومون خلف رسول الله ﷺ يقدم لنا بعض الدلالات :

١- اعتراف هؤلاء الرسل والأنبياء بفضل رسول الله ﷺ ومنزلته ، ومكانته عند الله ، وتسليم منهم أنه أفضل الخلق وأكرمهم وأقربهم إلى الله سبحانه وتعالى ، فهو إمام الخلق أجمعين ، وإمام النبيين والمرسلين في السير في طريق الله وفي القرب من الله ﷻ .

٢- اعتراف هؤلاء الأنبياء والمرسلين بختم الرسالة بنبوة محمد ﷺ ورسالته ، فلا وحي بعده ولا نبي بعده ، ولا رسالة بعد رسالته ، وهو اعتراف منهم أيضاً بنسخ الرسالات برسالته ، ونسخ كتبهم بكتابه «القرآن» ، فلا عمل بالتوراة والزبور والإنجيل بعد نزول القرآن .

---

(١) دكتور سيد العفاني : واقدساه ، ١/١٣٢ ، دار معاذ بن جبل ، سنة ٢٠٠١.

٣- دعوة هؤلاء الأنبياء والمرسلين لأقوامهم بالدخول والتخلي عما كانوا عليه من اليهودية أو النصرانية ، إن أرادوا القبول عند الله ودخول جنته .

٤- تسليم هؤلاء الأنبياء مفاتيح الأرض المقدسة إلى سيدنا محمد ﷺ وأمته فمعظم هؤلاء الأنبياء عاش على الأرض المقدسة مدة من الزمن ، وكانت فيها دعوتهم إلى أن جاء الحبيب محمد ﷺ في هذه الليلة فسلَّم الأنبياء له ولأمته هذه الأرض المقدسة ورعايتها وحمايتها ، والخلافة فيها استمرار الإيمان عليها حتى قيام الساعة[1].

فإن كان ذلك في صلاة الرسول ﷺ بالأنبياء في المسجد الأقصى ، فمعجزة الإسراء والمعراج حافلة بالرموز والدلالات التي توحي بأهمية المكان المبارك ، وارتباطه بهذه الأمة المباركة ، ومسئولية هذه الأمة عنه أمام الله .

وهذه الرحلة المختارة من اللطيف الخبير بالحبيب محمد ﷺ ، والتي تحدث عنها القرآن الكريم ، وصدَّر الحديث عنها بسبحان ، قد جعلت رسول الله ﷺ يشاهد المكان مشاهدة تجعله خبيراً بمعالم هذا المكان ، وانظر إليه ﷺ وهو يتحدث عن الحلقة التي يربط بها الأنبياء ،

---

(١) دكتور سيد العفاني : واقدساه ، ص : ١٣٥ ، ١٣٦ .

وأنه ﷺ قد ربط البراق في الحلقة التي يربط فيها الأنبياء . وانظر إليه ﷺ وهو يصف المسجد الأقصى لقومه ، وكيف أن الله ﷻ قد جلاه له وهو يصفه لقومه .

ثم انظر إلى حديث رسول الله ﷺ ، وهو يتحدث عن قبر موسى عليه السلام في الحديث الصحيح ويصف القبر وما حوله ... إن موسى عليه السلام عند موته قد سأل الله أن يُدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر ، قال رسول الله ﷺ : فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر[1].

والحبيب محمد ﷺ له موعد آخر في هذه الأرض المباركة ، تحدث عنه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ (القصص:٨٥) .

روى ابن كثير [2] وابن أبي حاتم أن الميعاد إلى بيت المقدس يوم القيامة ؛ لأن بيت المقدس أرض المحشر والمنشر ، وفي قوله لرادك إلى ميعاد ، الرد فيه إشارة لمجيئه الأول ﷺ ليلة الإسراء .

* * *

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٦/٢٦٣ .